شجاعته وجهاده

الفرق بين الشجاعة والقوة

في البداية لابد أن نفرق بين الشجاعة والقوة .

(ش ج ع) : شَجُعَ بِالضَّمِّ شَجَاعَةً قَوِيَ قَلْبُهُ وَاسْتَهَانَ بِالْحُرُوبِ جَرَاءَةً وَإِقْدَامًا فَهُوَ شَجِيعٌ وَشُجَاعٌ .

(القوة) ضِدّ الضَّعْفِ وَالطَّاقَةِ وَتُمَكِّن الحَيوَان مِنْ الأَعْمَالِ الشَّاقَةِ وَالمُؤَثِّر الذِي يُغَيِّر أوْ يَمِيل إلى تَغْيِير حَالَةِ سُكُونٍ وَمَبْعَث النَّشَاط والنُّمُو والحَرَكَة وتَنْقَسِم إلى طَبِيعِيَّة وَحَيويَّة وَعَقْلِيَّة كَمَا تَنْقَسِم إلَى بَاعِثَة وَفَاعِلَة .

فالقوة شدة في البدن تبعث على النشاط والنمو والحركة ، أما الشجاعة فشدة في القلب تبعث على الجرأة والإقدام عند البأس والمحن.

والقتال يحتاج إلى شجاعة القلب وقوة البدن ، والشجاعة إنما فضلها في الدين لأجل الجهاد في سبيل الله وإلا فالشجاعة إذا لم يستعن بها صاحبها على الجهاد في سبيل الله كانت إما وبالاً عليه إن استعان بها صاحبها على طاعة الشيطان، وإما غير نافعة له إن استعملها فيما لا يقربه إلى الله.

شجاعة النبي ﷺ

والشجاعة تكون بقدر اليقين ، واليقين في القلب فإذا قوي اليقين في القلب زادت الشجاعة لذا كان النبي ﷺ أشجع الناس باعتراف الصحابة

أنفسهم لأنه أرسخهم يقيناً فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : " كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ وَكَانَ أَجْوَدَ النَّاسِ وَكَانَ أَشْجَعَ النَّاسِ وَلَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَانْطَلَقَ نَاسٌ قِبَلَ الصَّوْتِ فَتَلَقَّاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَاجِعًا وَقَدْ سَبَقَهُمْ إِلَى الصَّوْتِ وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ عُرْيٍ فِي عُنُقِهِ السَّيْفُ وَهُوَ يَقُولُ لَمْ تُرَاعُوا لَمْ تُرَاعُوا قَالَ وَجَدْنَاهُ بَحْرًا أَوْ إِنَّهُ لَبَحْرٌ قَالَ وَكَانَ فَرَسًا يُبَطَّأُ " [متفق عليه]

عَنْ أَبِي إِسْحَقَ قَالَ : " جَاءَ رَجُلٌ إِلَى الْبَرَاءِ فَقَالَ أَكُنْتُمْ وَلَّيْتُمْ يَوْمَ حُنَيْنٍ يَا أَبَا عُمَارَةَ فَقَالَ أَشْهَدُ عَلَى نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ مَا وَلَّى وَلَكِنَّهُ انْطَلَقَ أَخِفَّاءُ مِنْ النَّاسِ وَحُسَّرٌ إِلَى هَذَا الْحَيِّ مِنْ هَوَازِنَ وَهُمْ قَوْمٌ رُمَاةٌ فَرَمَوْهُمْ بِرِشْقٍ مِنْ نَبْلٍ كَأَنَّهَا رِجْلٌ مِنْ جَرَادٍ فَانْكَشَفُوا فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ يَقُودُ بِهِ بَغْلَتَهُ فَنَزَلَ وَدَعَا وَاسْتَنْصَرَ وَهُوَ يَقُولُ أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبْ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ اللَّهُمَّ نَزِّلْ نَصْرَكَ قَالَ الْبَرَاءُ كُنَّا وَاللَّهِ إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ نَتَّقِي بِهِ وَإِنَّ الشُّجَاعَ مِنَّا لَلَّذِي يُحَاذِي بِهِ يَعْنِي النَّبِيَّ ﷺ " [صحيح مسلم]

عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، قَالَ : " كُنَّا إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ (كناية عن شدة الحرب) ، وَلَقِيَ الْقَوْمُ الْقَوْمَ ، اتَّقَيْنَا (احتمينا) بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَمَا يَكُونُ أَحَدٌ أَقْرَبَ إِلَى الْعَدُوِّ مِنْهُ " [النسائي وأحمد]

وَعَنْ عَلِيٍّ ، قَالَ : " لَقَدْ رَأَيْتُنِي يَوْمَ بَدْرٍ ، وَنَحْنُ نَلُوذُ بِالنَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلامُ ، وَهُوَ أَقْرَبُنَا إِلَى الْعَدُوِّ ، وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ بَأْسًا "
[أخرجه أبو الشيخ في أخلاق النبي بإسناد جيد]

أشجع الناس بعد الرسول ﷺ

أما عن شجاعة أبي بكر الصديق فكان مبعثها يقين ثابت لا يمازجه شك ولا تخالطه ريبة فقد بلغ بصديقيته مرتبة حق اليقين ، ولما كانت

الشجاعة تنبع من يقين القلب لذا كان أبو بكر أشجع الناس لم يكن بعد رسول الله ﷺ أشجع منه، هو أشجع من عمر، وعمر أشجع من عثمان، وعلي وطلحة والزبير. وهذا يعرفه من يعرف سيرهم وأخبارهم؛ فإن أبا بكر باشر الأهوال التي كان يباشرها رسول الله ﷺ من أول الإسلام إلى آخره، ولم يجبن ولم يحرج، ولم يفشل. وكان يقدم في المخاوف يقي النبي ﷺ بنفسه، ويجاهد المشركين تارة بيده، وتارة بلسانه، وتارة بماله، وهو في ذلك كله مقدم.

يقول العقاد : " وكانت شجاعته كفاءة صدقه ووفائه بوعده : سواء منها شجاعة الرأي وشجاعة القتال ، فلما أسلم لم يبال أن يعلن إسلامه وأن يجهر بصلاته ودعائه ، يصيبه في ذلك ما يصيب ، ولما وجب القتال كان المقاتلين إلى رسول الله في كل غزوة وكل مأزق ومن مآزق الجلاد ، وانهزم كثير من الشجعان في بعض الملاحم الحازبة ، ولم تذكر له قط هزيمة في ساعة من ساعات الشدة ، ولا ثبت نفر قط حيث يصعب الثبات إلا كان هو بين أول الثابتين .

ولم تكن وقعة أشد على المسلمين من وقعتي أحد وحنين ، ولَّي فيهما من ولَّى واستشهد من استشهد وتردد في صفوف العسكريين أن رسول الله كان بين المستشهدين فذعر الشعيف وقال القوي : ما تصنعون بالحياة بعده ؟ فموتوا على ما مات عليه رسول الله .

ففي وقعة أحد – أشد هاتين الوقعتين – كان ابو بكر في طليعة الثابتين ، ونظر إلى حلقة من درع قد نشبت في جبين صديقه وصفيه ونبيه فشغله أن يصاب هذا المصاب ، وانكب عليها لينتزعها ، لولا أن أقسم عليه أبو عبيدة ليسبقنه هو إلى نزعها ، فجذبها بثَنيَّتيه (الثَّنِيَّة : إحدى الأسنان الأربع التي مقدَّم الفم) جذبا رقيقاً حتى نزعها وسقطت ثنيته ." (١)

(١) عباس محمود العقاد " عبقرية الصديق " دار الكتاب اللبناني ص ٢١٠ .

دفاع أبي بكر عن النبي ﷺ

هناك موافق كثيرة وقف أبو بكر بكل شجاعة يدافع فيها عن النبي ﷺ والدين بكل ما يملك وهو النحيف قليل اللحم الذي يسقط الإزار من خصره لكن في مواقف الحزم يتحول أبو بكر إلى أسد جسور .

فعُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ قَالَ سَأَلْتُ ابْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَخْبِرْنِي بِأَشَدِّ شَيْءٍ صَنَعَهُ الْمُشْرِكُونَ بِالنَّبِيِّ ﷺ قَالَ بَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي فِي حِجْرِ الْكَعْبَةِ إِذْ أَقْبَلَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ فَوَضَعَ ثَوْبَهُ فِي عُنُقِهِ فَخَنَقَهُ خَنْقًا شَدِيدًا فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى أَخَذَ بِمَنْكِبِهِ وَدَفَعَهُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ ﴾ [صحيح البخاري]

لقد كان مبعث شجاعة أبي بكر قوة يقينية في الله عز وجل، وثقة بأن الله ينصره والمؤمنين. وهذه الشجاعة لا تحصل إلا لمن كان قوي القلب، لكن هذه تزيد بزيادة الإيمان واليقين، وتنقص بنقص ذلك فمن تيقن أنه يغلب عدوه كان إقدامه عليه، بخلاف من لم يكن كذلك، وهذا من أعظم شجاعة المسلمين وإقدامهم على عدوهم.

ثم قد علم كل من علم السيرة أن أبا بكر أقوى قلبًا من جميع الصحابة لا يقاربه في ذلك أحد منهم؛ فإنه من حين بعث الله نبيه إلى أن مات أبو بكر لم يزل مجاهدًا مقدامًا شجاعًا لم يعرف قط أنه جبن عن قتال عدوه .

وها هو فارس الإسلام المغوار الذي يضرب به المثل في الشجاعة على بن أبي طالب يقرُّ بأن أبا بكر كان أشجع الناس ، ولم يقل ذلك في حياة أبي بكر حتى لا يقال إنه قال ذلك مجاملة له إنما قال ذلك بعد موت الصديق وفي خلافته قال ذلك بين أنصاره وشيعته .

شهادة أقوى الرجال لأشجع الناس

جاء في مسند عليٍّ عن محمد بن عقيل قال خطبنا علي بن أبي طالب فقال : " أيها الناس أخبروني من أشجع الناس قالوا أنت يا أمير المؤمنين قال أما إني ما بارزت أحداً إلا انتصفت منه ولكن أخبروني بأشجع الناس قالوا لا نعلم فمن قال أبو بكر إنه لما كان يوم بدر جعلنا لرسول الله ﷺ عريشاً (العريش خيمة من خشب تنصب ويظلل عليها) فقلنا من يكون مع رسول الله ﷺ لئلا يهوي إليه أحد من المشركين فوالله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر شاهراً بالسيف على رأس رسول الله ﷺ لا يهوي إليه أحد إلا أهوى إليه فهذا أشجع الناس ولقد رأيت رسول الله ﷺ وأخذته قريش فهذا يجأه (يضربه) وهذا يتلتله (يزعزعه ويزلزله) وهم يقولون أنت الذي جعلت الآلهة إلهاً واحداً فوالله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر يضرب هذا ويجأ هذا ويتلتل هذا وهو يقول ويلكم أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله ثم رفع عليٌّ بردة كانت عليه فبكي حتى اخضلَّت لحيته ثم قال أنشدكم الله أمؤمن آل فرعون خير أم أبو بكر فسكت القوم فقال ألا تجيبوني فوالله لساعة من أبي بكر خير من مثل مؤمن آل فرعون ذاك رجل يكتم إيمانه وهذا رجل أعلن إيمانه."

هذه هي درجة الصديقية التي تحوِّل الرجل النحيف الأسيف الرقيق سريع الحزن والبكاء إلى فارس مغوار يدفع ويضرب ويزلزل ولو لم يفعل ذلك في موقف واحد إنما كان هذا خلقه وديدنه طول حياته في الإسلام.

والشجاعة ليست في الحرب فقط إنما في المواقف الحاسمة فها هو يوم موت النبي ﷺ الذي تزلزلت فيه القلوب وخشعت الأصوات ، ولم يقو على تحمله أقوى الرجال وأشجعهم عمر بن الخطاب ثبت أبو بكر

ثبوت الجبال الراسخات وهو أشد الناس حباً لرسول الله ﷺ وأقربهم إليه مودة . إنه الصديق الذي أيَّد الله به الإسلام في حياة رسوله، وحفظه به بعد مماته .

موقف أبي بكر من موت النبي ﷺ

لما مات الرسول ﷺ أظلمت المدينة واضطرب الناس وصار يوما عظيما واجتمع الناس في المسجد وقام عمر وقال: إن النبي ﷺ لم يمت ولكنه صعد يعني غشي عليه وليبعثنه الله فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم اهتز قلبه يقولها بجد وحزم وكان أبو بكر حين مات الرسول ﷺ خارج المدينة في حائط له فذهبوا فأخبروه أخبروا أبا بكر عن السيدة عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ أَخْبَرَتْهُ قَالَتْ أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى فَرَسِهِ مِنْ مَسْكَنِهِ بِالسُّنْحِ حَتَّى نَزَلَ فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ فَلَمْ يُكَلِّمْ النَّاسَ حَتَّى دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ فَتَيَمَّمَ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ مُسَجًّى بِبُرْدِ حِبَرَةٍ فَكَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ ثُمَّ أَكَبَّ عَلَيْهِ فَقَبَّلَهُ ثُمَّ بَكَى فَقَالَ بِأَبِي أَنْتَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ لَا يَجْمَعُ اللَّهُ عَلَيْكَ مَوْتَتَيْنِ أَمَّا الْمَوْتَةُ الَّتِي كُتِبَتْ عَلَيْكَ فَقَدْ مُتَّهَا .

قَالَ أَبُو سَلَمَةَ فَأَخْبَرَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ خَرَجَ وَعُمَرُ يُكَلِّمُ النَّاسَ فَقَالَ اجْلِسْ فَأَبَى فَقَالَ اجْلِسْ فَأَبَى فَتَشَهَّدَ أَبُو بَكْرٍ فَمَالَ إِلَيْهِ النَّاسُ وَتَرَكُوا عُمَرَ فَقَالَ أَمَّا بَعْدُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا ﷺ فَإِنَّ مُحَمَّدًا ﷺ قَدْ مَاتَ وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ إِلَى الشَّاكِرِينَ﴾

وَاللَّهِ لَكَأَنَّ النَّاسَ لَمْ يَكُونُوا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَهَا حَتَّى تَلَاهَا أَبُو بَكْرٍ فَتَلَقَّاهَا مِنْهُ النَّاسُ فَمَا يُسْمَعُ بَشَرٌ إِلَّا يَتْلُوهَا " [صحيح البخاري]

قَالَ عُمَرُ وَاَللّهِ مَا هُوَ إِلّا أَنْ سَمِعْت أَبَا بَكْرٍ تَلَاهَا ، فَعَقَرْت حَتّى وَقَعْت إلَى الْأَرْضِ مَا تَحْمِلُنِي رِجْلَايَ وَعَرَفْت أَنّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ قَدْ مَاتَ "

ماذا حدث في سقيفة بني ساعدة ؟

أما ما حدث في سقيفة بني ساعدة ففتنة إن لم يتصدَّ لها أبو بكر ربما قضت على دولة الإسلام الوليدة .

" اجْتَمَعَتِ الأَنْصَارُ إِلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ فِى سَقِيفَةِ بَنِى سَاعِدَةَ فَقَالُوا مِنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ ، فَذَهَبَ إِلَيْهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ ، فَذَهَبَ عُمَرُ يَتَكَلَّمُ فَأَسْكَتَهُ أَبُو بَكْرٍ ، وَكَانَ عُمَرُ يَقُولُ وَاللَّهِ مَا أَرَدْتُ بِذَلِكَ إِلاَّ أَنِّى قَدْ هَيَّأْتُ كَلاَمًا قَدْ أَعْجَبَنِى خَشِيتُ أَنْ لاَ يَبْلُغَهُ أَبُو بَكْرٍ ، ثُمَّ تَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ فَتَكَلَّمَ أَبْلَغَ النَّاسِ فَقَالَ فِى كَلاَمِهِ نَحْنُ الأُمَرَاءُ وَأَنْتُمُ الْوُزَرَاءُ . فَقَالَ حُبَابُ بْنُ الْمُنْذِرِ لاَ وَاللَّهِ لاَ نَفْعَلُ ، مِنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ . فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لاَ ، وَلَكِنَّا الأُمَرَاءُ وَأَنْتُمُ الْوُزَرَاءُ هُمْ أَوْسَطُ الْعَرَبِ دَارًا ، وَأَعْرَبُهُمْ أَحْسَابًا فَبَايِعُوا عُمَرَ أَوْ أَبَا عُبَيْدَةَ . فَقَالَ عُمَرُ بَلْ نُبَايِعُكَ أَنْتَ ، فَأَنْتَ سَيِّدُنَا وَخَيْرُنَا وَأَحَبُّنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَخَذَ عُمَرُ بِيَدِهِ فَبَايَعَهُ ، وَبَايَعَهُ النَّاسُ ، فَقَالَ قَائِلٌ قَتَلْتُمْ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ . فَقَالَ عُمَرُ قَتَلَهُ اللَّهُ " [صحيح البخاري]

ووقى الله تعالى المسلمين فتنة عظيمة لا يعلم مدى خطورتها إلا الله، وكانت شجاعة وصدق يقين أبو بكر سبب عدم وقوع هذه الفتنة .

***